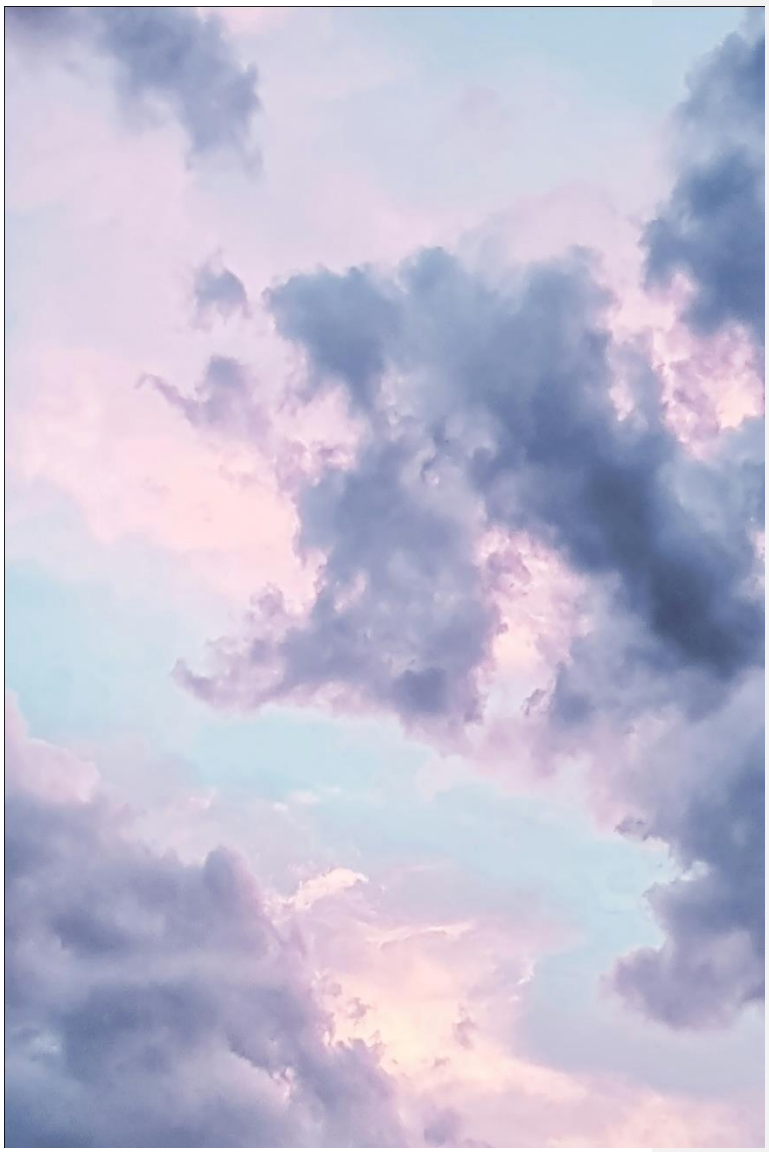

تفريغ محاضرة

ملائكة النور

رواء الاثنين | د.هند القحطاني

١٢ / ٢ / ١٤٤٥ هـ

ملائكة النور

تحدثنا سابقًا عن الإيمان بالله، والإيمان: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

وفي درسنا هذا سنتحدث عن الأصل الثاني من أصول الإيمان، وهي الملائكة، قال الله عزَّ وجل:{آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ} (البقرة، 285) .

الملائكة عالم نوراني، فحينما أتى جبريل عليه السلام أول مرة في هيئته، ما كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يعرفُ ما هو الشيء الذي أتاه، لكنَّ كلام ورقة بن نوفل له أنَّ هذه طريقة الأنبياء، والوحي آتيك، يخرجك من قومك، جعل الرسول -صلى الله عليه وسلم- على شوق،

فرجع إلى الغار مرة أخرى ولم يأته جبريل، ورجع ثانية ولم يأته، ينظر للسماء عله يراه وما رأى شيئًا، فقد فتر عنه الوحي مدة، وهذا كان أدعى لثبات النبي -صلى الله عليه وسلم- لأنَّ نزول الوحي كان فيه شيءٌ من الرَّهبة، فتركه حتى يشتاق،

وفي يوم من الأيام والنبي -صلى الله عليه وسلم- عائد من الغار إلى داره، إذ سمع جلبةً من فوقه، فالتفت -عليه الصلاة والسلام- كما في صحيح البخاري قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: [فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي قِبَلَ السَّمَاءِ، فَإِذَا المَلَكُ الذي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ قَاعِدٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ، فَجِئِتُ منه حتَّى هَوَيْتُ إلى الأَرْضِ، فَجِئْتُ أَهْلِي فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَزَمَّلُونِي، فأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ} إلى قَوْلِهِ: {فَاهْجُرْ} (المدثر، 1 – 5)] ([1])،

وإذا بالملك الذي جاءه في حراء، قال- عليه الصلاة والسلام- [رأَيْتُ جِبريلَ عندَ سِدرةِ المُنتهى وعليه ستُ مائة جَناحٍ ينثُرُ مِن ريشِه تهاويلَ الدُّرِّ والياقوتِ] ([2])،إذا هو ساد ما بين الأفق، وله ست مائة جناح، فتخيَّل هذا الملك الذي له ست مائة جناح، كل جناح من هذه الأجنحة يتدلى منها الدُّر والياقوت، وفيها تهاويل، والعرب كانت تسمِّي الشيء الذي لا يوصف لجماله بالتهاويل، فيقولون: شيءٌ مهول، فتخيَّلوا هذا المنظر، وكأنك تدخلين فندقًا فخمًا فيه ثريا تنزل من الطابق العشرين حتى البهو، وفيها من الكريستالات ما فيها، ولها صوتٌ حين تضرب بعضها بعضاً يا لهذا الجمال!

وهذا شيء دنيوي، فما شعور النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو يرى جبريل بهذه الهيئة، على هيئته الحقيقية، وهي من المرّات القلائل التي يراه فيها بتلك الهيئة.

1 أخرجه البخاري في صحيحه.

2 أخرجه ابن حبان في صحيحه قال الألباني: صحيح

من هذه اللحظة عرفنا الملائكة، وعرفنا الوحي على هذا العالم النوراني التي ما كانت تعرفه العرب إلا اسمًا فقط، وبدأ الوحي بإخبارنا بصفاتهم، وغرضهم، وعلاقتهم بنا، ولماذا هم الأصل الثاني من أصول الإيمان؟

وصف الملائكة:

يقول الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-: "هم عالمٌ غيبي، مخلوقون من نور، خلقوا لعبادة الله عزَّ وجل، ولا يتم الإيمان بهم إلا بأربعة أشياء: الإيمان بوجودهم، وبأسمائهم التي وصلتنا، وبأوصافهم التي أخبرنا النَّبي -صلى الله عليه وسلم- بها، وبأعمالهم التي اختصَّهم الله بها، قال اللهُ عزَّ وجل عن الملائكة: {الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۚ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}(فاطر، 1).

فالملائكة ليسوا على وصفٍ واحدٍ، ولهم أشكالٌ عديدة، يتفاوتون بالأحجام، ما بين قليل الأجنحة وكثيرها، وما بين كبير الحجم وصغيره، ومن رحمة الله بنا عدم رؤيتهم، فالملائكة لا تدرك بالعقل، وهم خارج نطاق البشرية، لا يمكن لأي اختراع أن يكشفهم، لا أشعة سينية ولا ليزر ولا غيرها، فهي شيء مثل الرُّوح ولو رأيناهم لكانت الصورة في أذهاننا مزدحمة ومشوشة، فكل إنسان بجانبه ملك وقرين، والجن موجودون حولنا، والله أرحم من أن يصعب علينا، حتى أنَّه من رحمته بنا أن جعل أذاننا لا تلتقط كلَّ الذَّبذبات فهي ليست كالراديو، ولو كانت كذلك لسمعنا تلك الوشوشة التي يصدرها الرَّاديو دائمًا وأصبنا بصداعٍ دائم، فآذاننا فيها فلترة تجعلنا نسمع الأصوات بدون تشويش، وقد امتدح الله المؤمنين بأنهم يؤمنون بهذا العالم الغيبي.

وأعظم الملائكة جبريل -عليه السلام- ومن الملائكة العظام أيضًا ما جاء في قوله -صلى الله عليه وسلم-: [أُذن لي أن أُحدِّث عن ملكٍ من ملائكةِ اللهِ، من حملةِ العرشِ: إنَّ ما بينَ شحمةِ أُذنهِ إلى عاتقِه، مسيرةُ سبع مائة عامٍ][3]

والإنسان لا يعرف أشكالهم الحقيقية حتى لو مثلوها في الكنائس والقصص، فهي خيال لا أصل له، والذي وصلنا وثبت عنهم في القران والسنة أنَّ لهم أجنحة.

والملائكة لهم جمال خاص غير جمال البشر، قالت نسوة يوسف في قوله تعالى:{ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ}(يوسف، 31). فالمطبوع في جبلة النفس البشرية وفطرتها أن الملائكة مخلوقات جميلة، فهؤلاء النسوة قلن: إنَّ هذا الجمال فاق جمال البشر حتى وصل لجمال الملائكة، وهؤلاء الملائكة لا يأكلون، ولا يشربون، ولا يتناكحون، ولا يتناسلون، ولا يتعبون، ولا يملون، وهم مخلوقون لعبادة الله عزَّ وجل، ولا يوصفون بالذُّكورة ولا بالأنوثة، فالله عاتب الذين وصفوا الملائكة بالإناث، فقال الله عز وجل:{ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ۚ }(الزخرف، 19).

3 (أخرجه أبو داوود)

هم خلقٌ آخر عن الإنس والجن، لأنَّ الإنس والجن على جنسين، إناث وذكور، أمَّا الملائكة فليسوا كذلك، ولا يملون، فهم لا يفترون عن التَّسبيح ليلًا ونهارًا، ومنازلهم في السَّماء، وأمَّا عددهم فلا يحصيه إلا الله، ولكنهم كثير، فتخيل أنَّ لكلِّ إنسانٍ ملكًا عن يمينه، وملكًا عن شماله، ومن أمامه، وخلفه، وكم عدد البشر في الأرض، ويخبرنا الرسول -صلى الله عليه وسلم- عن عددهم في موقف من مواقف يوم القيامة، فيقول:[يؤتى بجهنم يومئذ في يوم القيامة لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك](4).

وبإجراء عملية حسابية، نجد أنَّ أربعة آلاف وتسع مائة مليون ملك يسحبون جهنَّم من زمامها يوم القيامة إلى المكان الذي يأمر به الله عزَّ وجل،

ومن أسماء الملائكة الثابتة التي نعرفها: جبريل وميكائيل وإسرافيل، ويسمون ملائكة الحياة، إذ جبريل موكل بالوحي، والوحي حياة القلب، وميكائيل موكل بالمطر والقطر، وإنبات النبات، وهو الموكل بحاجة الأرض، وأما إسرافيل فهو الموكل بالنفخ، وهو الإيذان بالحياة الأخروية، والخلود بعد الموت،

وهذه الأسماء الثلاثة التي يبتدئ النبي -عليه الصلاة والسلام- بها في قيام الليل، فيقول: "اللهم ربَّ جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون" وجاءت أيضًا أوصاف وأسماء لمنكر ونكير، الذين يسألون العبد في قبره، وهاروت وماروت وغيرهم، ومن صفات الملائكة أنهم كرام بررة، وأنهم يستحون من بعض عباد الله، مثل عثمان بن عفان -رضي الله عنه- لأنَّه شديد الحياء، وفي السيرة كان رسولُ اللهِ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- مُضطجِعًا في بيتِه كاشفًا عن فخِذَيْه، فاستأذَن أبو بكرٍ فأذِن له وهو على تلكَ الحالِ، فتحدَّث ثمَّ استأذَن عُمَرُ فأذِن له وهو على تلكَ الحالِ، فتحدَّث ثمَّ استأذَن عُثمانُ، فجلَس رسولُ اللهِ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- وسوَّى ثيابَه، فدخَل فتحدَّث، فلمَّا خرَج قالت عائشةُ: يا رسولَ اللهِ دخَل أبو بكرٍ فلَمْ تَهشَّ له ولَمْ تُبالِ به، ثمَّ دخَل عُمَرُ فلَمْ تَهشَّ له ولَمْ تُبالِ به، ثمَّ دخَل عُثمانُ فجلَسْتَ فسوَّيْتَ ثيابَك؟ فقال النَّبيُّ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم-: [ألَا أستحي مِن رجُلٍ تستحي منه الملائكةُ]، **فالملائكة تتفاعل مع أفعال العباد، وهم على علاقة خاصة مع عباد الله عزَّ وجل، وليس مع الأنبياء فقط.**

عبادة الملائكة:

أول وأشهر عبادة للملائكة التسبيح، قال تعالى: {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ} (غافر، 7) ولما سئل رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ- أَيُّ الكَلَامِ أَفْضَلُ؟ قالَ: [ما اصْطَفَى اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ، أَوْ لِعِبَادِهِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ] (5)

فالملائكة لا يفتر لسانها عن ذكر الله.

4 أخرجه مسلم في صحيحه

5 أخرجه مسلم في الصحيح.

ومن عبادة الملائكة الصلاة، وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو يَصُفُّ أصحابه للصلاة: [ألا تَصُفُّونَ كما تصُفُّ الملائِكَةُ عندَ ربِّهم جَلَّ وعزَّ، قُلنا وَكَيفَ تَصفُّ الملائِكَةُ عندَ ربِّهم؟، قالَ: يتمُّونَ الصُّفوفَ المقدَّمةَ ويتَراصُّونَ في الصَّفِّ] (6) فيصطفون بعددهم الكبير دون فرجة،

وعن حكيم بن حزام قال: [بينما رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مع أصحابه إذ قال لهم: [هل تسمعون ما أسمع؟ قالوا: ما نسمع من شيء، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: أسمع أطيطَ السَّماءِ وما تلام أَنْ تَئِطّ، ما فيها موضع شبرٍ إلاَّ وعليه ملكٌ راكعٌ أو ساجد] (7)، والأطيط هو صوت الباب عند إغلاقه، أو الصوت الذي يخرج من المشي على أرض خشبية، فقال الرسول لأصحابه هل تسمعون هذا الصوت الذي في السماء، يحق لها أن تصدره لأنه لا متسع فيها، ففي كل شبر فيها ملك راكع أو ساجد، وعليه أنَّ الملائكة تصلي، ودليل هذا صفوفهم وسجودهم، وإن كانت نوعية الصلاة مختلفة،

والملائكة تحج أيضًا ولديها بيت معمور، وهو مثل الكعبة في السماء، يقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: [”ثم عُرِجَ بنا إلى السَّماءِ السابِعَةِ، فاسْتَفْتَحَ جِبريلُ، فقيل: مَنْ هذا؟ قال: جِبريلُ، قيل: وَمَنْ مَعَك؟ قال: مُحَمَّدٌ”، قيل: وَقَدْ بُعِثَ إليه؟ قال: قَدْ بُعِثَ إليه، ففَتَحَ لنا، ”فإذا إبراهيمُ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إلى البَيْتِ المَعْمورِ” وهو كحالِ الكَعْبةِ في الأرْضِ، وقيل: إنَّه فَوْقَها ومُسامِتٌ لها،” وإذا هو يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعونَ أَلْفَ مَلَكٍ، لا يَعودونَ إليه”] (8)، وكل من يحج من هؤلاء السبعين لا يعودون مرة أخرى، يأتي غيرهم، وهم من عهد آدم إلى قيام الساعة، فلك أن تتخيل عددهم.

ومن عبادتهم أيضًا أعمال باطنة، كالخوف وخشية الله، يقولُ النَّبيُّ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ-: [”مَرَرتُ لَيلةَ أُسرِيَ بي بالمَلَأِ الأعْلى”، أي: مَرَرتُ لَيلةَ الإسراءِ والمِعْراجِ، وهي مُختَلَفٌ في تَحديدِ وَقتِها، والمرادُ بالمَلَأِ الأعْلى: أهلِ السَّماءِ، ”وجِبريلُ” وهو أقرَبُ الملائكَةِ وأعْلاهم مَنزِلَةً وأكثَرُهم شَرَفًا، وهو الواسِطَةُ بين الأرضِ والسَّماءِ فهو الذي شرَّفه اللهُ بأنْ يكونَ رسولَ السَّماءِ إلى رُسُلِ الأرضِ بكَلامِ اللهِ المُنزَّلِ، وهو الرُّوحُ الأمينُ كما جاءَ في الكِتابِ العزيزِ، ”كالحِلْسِ البالي من خَشيَةِ اللهِ”، والحِلْسُ هو: كِساءٌ يُبسَطُ ويُفرَشُ في أرضِ البَيتِ، وهو قُماشٌ رَقيقٌ يُوضَعُ على ظَهرِ البَعيرِ تَحتَ رَحْلِه الذي يكونُ على ظَهرِه؛ فشبَّه النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ جِبريلَ عليه السَّلامُ بالحِلْسِ برُؤْيَتِه لاصِقًا لِمَا تلبَّس به من خَشيَةِ اللهِ تعالى؛ فالسِّرُّ في هذا التَّشْبيهِ: بأنَّ الحِلسَ يُلصَقُ بالأرضِ، أو يُلصَقُ بظَهرِ البَعيرِ، فكذلك هذا الخَوفُ وهذه الخَشيَةُ من اللهِ سُبْحانَه وتَعالى لَصيقَةٌ بجِبريلَ عليه السَّلامُ تمامًا كلُصوقِ الحِلْسِ بالأرضِ، أو بظَهرِ البَعيرِ] (9)،فهذا جبريل ذو الست مائة جناح الذي ساد ما بين الأفق، كان كالقطعة المرمية على الأرض من شدة خوفه وخشيته لله عزَّ وجلَّ.

---

6 أخرجه أبو داود، قال الألباني: صحيح.

7 أخرجه الترمذي، قال الألباني: حديث غريب

8 أخرجه أحمد، قال الألباني: حديث صحيح.

9 أخرجه الطبراني في المعجم، قال الألباني: صحيح.

علاقة البشر بالملائكة:

وهذا هو الجزء الأهم من الدرس، حيث يبدأ دور الملائكة مع الإنسان منذ خلقه في بطن أمه، ومن لحظة كونه نطفة، يقول رسول اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ-: [إذَا مَرَّ بالنُّطْفَةِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً، بَعَثَ اللَّهُ إلَيْهَا مَلَكًا، فَصَوَّرَهَا وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجِلْدَهَا وَلَحْمَهَا وَعِظَامَهَا، ثُمَّ قالَ: يا رَبِّ، أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟ فَيَقْضِي رَبُّكَ ما شَاءَ، وَيَكْتُبُ المَلَكُ، ثُمَّ يقولُ: يا رَبِّ، أَجَلُهُ؟ فيَقولُ رَبُّكَ ما شَاءَ، وَيَكْتُبُ المَلَكُ، ثُمَّ يقولُ: يا رَبِّ، رِزْقُهُ؟ فَيَقْضِي رَبُّكَ ما شَاءَ، وَيَكْتُبُ المَلَكُ، ثُمَّ يَخْرُجُ المَلَكُ بالصَّحِيفَةِ في يَدِهِ، فلا يَزِيدُ علَى ما أُمِرَ وَلَا يَنْقُصُ][10]

فمنذ اللحظة الأولى التي يُخْلَق بها الإنسان، فتتكون النطفة ثم العلقة، ونحن ندرس هذه المعلومات على أنَّها أشياء طبيعية وبدهية، غير أنَّ هذا التكوين عندما يكون في شهره الأول، يبعث الله ملكًا فيصوره ويشقُّ سمعه، ويضع منفذًا لبصره، ويخلق جلده ولحمه، ثم يكتب بأمر الله ذكرًا أم أنثى، وذلك كله من بعد اثنتين وأربعين ليلة فقط، والملك قبلها لا يعرف ذلك حتى يقضي الله له أن يكون ذكرًا أو أنثى، فيقضي الله ما يشاء، وعلى الملك الكتابة فقط،

ويقول الرسول -عليه الصلاة والسلام-: [إنَّ أحدَكم يُجْمَعُ خَلْقُهُ في بطنِ أمِّه أربعينَ يومًا نطفةً، ثم يكونُ علقةً مثلَ ذلك، ثم يكونُ مضغةً مثلَ ذلك، ثم يبعثُ اللهُ إليه ملكًا، ويُؤمرُ بأربعِ كلماتٍ، ويُقالُ له: اكتبْ عملَه، ورزقَه وأجلَه، وشقيٌّ أو سعيدٌ؛ ثم يُنفخُ فيه الروح، فإنَّ الرجلَ منكم ليعملُ بعملِ أهلِ الجنَّة حتى لا يكونَ بينه وبينها إلا ذراعٌ، فيسبقُ عليه الكتابُ، فيعملُ بعملِ أهلِ النارِ، فيدخلُ النارَ. وإنَّ الرجلَ ليعملُ بعملِ أهلِ النارِ، حتى ما يكونُ بينه وبينها إلا ذراعٌ، فيسبقُ عليه الكتابُ، فيعملُ بعملِ أهلِ الجنةِ، فيدخلُ الجنةَ][11]، فيكتب الملك وهذا المخلوق الصغير ما زال بحجم المضغة، وهي اللقمة التي نأكلها، فيكتب رزقه من يوم خلقته حتى أجله، ويكتب أجله باليوم الفلاني، والساعة الفلانية، والسنة الفلانية، وعمله شقي أم سعيد، فالعلاقة تبدأ من هناك، ثم يبدأ عملهم بحراسة بني آدم، يقول الله عزوجل: {سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ} (الرعد، 10-11)

وقيل أنَّ مع كل إنسانٍ أربع ملائكة، اثنان في الأمام، واثنان في الخلف، ويكونون معه طيلة الوقت، وأسماهم الله المعقبات، ما بين يديه ومن خلفه، يقول مجاهد وهو من تلاميذ ابن عباس: "ما من عبد إلا له ملك موكل بحفظه في نومه ويقظته، من الجنّ والإنس والهوام" فما يأتيه شيء منها إلا قال له الملك: مالك عليه سبيل إلا شيء أذن الله له أن يصيبه،

فما الذي يمنع الذر والهوام على وسادة النوم، التي لو أخرجتها الآن من الغسالة ووضعتها تحت المجهر، لوجدت الكثير من الكائنات، التي لو دخلت إحداها لعينك، وكتب الله أن يصيبك بضرها لأصابتك أمراض الدنيا، فمن يحفظك

10 المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم

11 أخرجه البخاري، ومسلم.

إلا الله؟ وذاك الرجل الذي ركب سيارته من الصحراء للمدينة، وقطع ثمانين كيلو مترًا والعقرب مختبئ في غترته، من حفظه إلا الله عزَّ وجل؟

فالله عزَّ وجل يرسل الملائكة تحفظ من أمر الله، إلا لو قدر الله غير ذلك، و من بات متوضئًا ينام في دثاره، جعل له ملك يحفظه، ولو قرأ آية الكرسي وقف عند رأسه ملكٌ يحفظه، وقد جاء رجلٌ إلى علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- وقال له: إنَّ رجلًا من مراد يريد قتلك، فقال عليٌّ -رضي الله عنه-: "إن مع كلِّ رجلٍ ملكين يحفظانه مما لم يقدر، فإذا جاء القدر خَلَّيا بينه وبينه، وإنَّ الأجل جنة حصينة"، أي لا يمكن لأحد أن يقتلك، إن لم يكتب الله عليك أن تموت في هذه اللحظة إذا فالأجل جنة حصينة، والملائكة تقوم بحراسة بني آدم، وكل التعويذات التي نقولها فهي تحصين وتوكيل الله بأمره للملائكة بحفظهم،

ومن وظائف الملائكة أيضًا تبليغ الوحي الذي يأتي من السماء، وجبريل ليس الملك الوحيد الذي يقوم بهذه المهمة،[عن ابن عبَّاس قال: بينما جبريل قاعدٌ عند النَّبي -صلى الله عليه وسلم- سمع نقيضًا من فوقه، فرفع رأسه، فقال جبريل: هذا بابٌ من السماء، فتح اليوم لم يفتح قبله قط، فنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فلما وصل الملك إلى النبي ﷺ سلم عليه وقال أَبْشِرْ بنُورَيْنِ أُوتِيتَهُما لَمْ يُؤْتهما نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ البَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بحَرْفٍ منهما إلَّا أُعْطِيتَهُ][12]، والنقيض مثل صوت فتح الشيء،

وهذه البشارة نزل بها ملك لم ينزل على الأرض قط، وأخبرنا حذيفة أنَّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- سأله فقال: [أَمَا رَأيتَ العارِضَ الذي عَرَضَ لِي قُبَيْلَ؟ هو مَلَكٌ من الملائكةِ لَمْ يَهْبِطْ إلى الأرضِ قَطُّ قَبلُ هذه الليلَةَ؛ اسْتأذَنَ رَبَّهُ عَزَّ وجلَّ أنْ يُسَلِّمَ عَلَيَّ ، ويُبَشِّرَنِي أنَّ الحَسَنَ والحُسَيْنَ سَيِّدَا شَبابِ أهلِ الجنةِ، وأنَّ فاطِمَةَ سَيِّدَةَ نِساءِ أهلِ الجنةِ][13] فنحن نؤمن أنَّ الحسن والحسين سيدا أهل الجنة، وقد جاءت البشارة بهما من ملك استأذن ربه أن يبلغها للنبي -عليه الصلاة والسلام-

ومجيء الملائكة للإنسان ليس دليلًا على نبوته، والدليل على ذلك عندما جاء جبريل -عليه السلام- إلى مريم -عليها السلام- بصورة ملك، وهاجر أم إسماعيل في حادثة زمزم، عندما جاءها جبريل وأغاثها بنبع زمزم،

ولم تقتصر الملائكة على تبليغ الوحي، بل كانت عونًا وتثبيتًا ونصرةً للرسول -صلى الله عليه وسلم- بل كان جبريل يأتي للنبي -صلى الله عليه وسلم- في كل ليلة من ليالي رمضان ليدارسه القران، وهذه أعظم مدارسة بين سيد الملائكة وسيد البشر، وقد جاء جبريل وأمَّ النبي -صلى الله عليه وسلم- في خمس صلوات حتى يعلمه الصلاة، فيقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: [نزل جبريل فأمني فصليت معه، ثم صليت معه، ثم صليت معه، ثم صليت معه، ثم صليت معه خمس مرات][14]،

12 صحيح مسلم.

13 أخرجه أحمد، وقال الألباني: صحيح.

14 أخرجه البخاري ومسلم.

وجاءه جبريل أيضًا ليعلمه الوضوء، بل جاءه مرة يعوده وهو مريض بالحمَّى، [فجاءه جبريل فقال له: يا محمد اشتكيت؟ قلت: نعم، فقال له جبريل: بسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر كل ذي نفس وعين حاسد، بسم الله أرقيك من كل شر يؤذيك، والله يشفيك، فشفي النبي -صلى الله عليه وسلم-] ([15]).

والملائكة تحرك الخير في نفوس العباد، فلكلٍّ منَّا قرين من الجن يوحي بالشر، وقرين من الملائكة يوحي بالخير، حتى الرسول -صلى الله عليه وسلم- ولكنه أسلم فلا يوحي له إلا بخير،

وكلما اقتربت منَّا الملائكة، كلما كانت نفسك أقرب إلى الخير، وأدعى إلى الهدى والنُّور، وكلما اقترب الشَّيطان كانت النَّفس أدعى إلى الشر والمعصية والسَّواد، فيقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: [ما منكم من أحدٍ إلا وقد وكل به قرينه من الجن، وقرينه من الملائكة، فقالوا الصحابة: وإيَّاك يا رسول الله؟ قال: نعم وإياي إلا أنَّ الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير] ([16])

وقال الرسول -صلى الله عليه وسلم-: [إنَّ للشَّيطانِ للمَّةً بابنِ آدمَ ، ولِلمَلك لَمَّةٌ ، فأمَّا لمَّةُ الشَّيطانِ فإيعادٌ بالشَّرِّ وتَكْذيبٌ بالحقِّ ، وأمَّا لمَّةُ الملَكِ فإيعادٌ بالخيرِ وتصديقٌ بالحقِّ . فمَن وجدَ ذلِكَ فليعلم أنَّهُ منَ اللَّهِ ، فليحمَدِ اللَّهَ ، ومن وجدَ الأخرى فليتعوَّذ منَ الشَّيطانِ ، ثم قرأ: (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ۖ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)(البقرة، 268]([17])،

وهذا الحديث منهج حياة، حيث يخبرنا فيه الرسول -صلى الله عليه وسلم- بأنَّ الاستعاذة تُذهِب الشيطان، فحينما تستيقظ في يومٍ من الأيام، وأنت عازمٌ على فعل شرٍّ ما، أو القيام بذنبٍ أقلعت عنه منذ مدة، فيسيطر عليك الشيطان ويوسوس لك أن تقوم به هذا اليوم، فعليك بالاستعاذة حتى يذهب،

تقول إحداهن أنَّها درست هذا الشيء في مكان ما، وأرادت فعل ذنبٍ من الذُّنوب يومًا ما، والشيطان أغواها كثيرًا على المضي فيه، فحدثت نفسها أنَّ هذا من فعل الشيطان، وليست هي، وتذكرت قوله إذا مسكم طائف من الشيطان فتعوذوا، وقالت بنفس مكسورة: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ومازال عقلها يفكر بالذنب، ولكنها طبقت ما تعلمته حتى ترفع عنها شعور الذنب، تقول: قلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وكأنَّ الماء انسكبت على النَّار لا أعلم كيف انشغلت عن فعل هذا الذنب، ومرَّ اليوم دون أن أفعله، فالشيطان لا يطيق لفظ الجلالة، وما قوة الشيطان وكيده الضعيف، أمام طلبك الإنقاذ من الله السميع العليم الذي يعيذك منه.

يقول النبي -صلى الله عليه وسلم- : [إذا أوى الرَّجُلُ إلى فراشِه أتاه ملَكٌ وشيطانٌ فيقولُ الملَكُ: اختِمْ بخيرٍ ويقولُ الشَّيطانُ: اختِمْ بشَرٍّ فإنْ ذكَرَ اللهَ ثمَّ نام باتتِ الملائكةُ تكلَؤُه فإنِ استيقَظ قال الملَكُ: افتَحْ بخيرٍ وقال الشَّيطانُ: افتَحْ بشَرٍّ فإنْ قال: الحمدُ للهِ الَّذي ردَّ عليَّ نَفْسي ولم يُمِتْها في منامِها الحمدُ للهِ الَّذي يُمسِكُ السَّمواتِ والأرضَ

15 أخرجه أبي داود في السنن، قال الألباني: حسن.

16أخرجه مسلم في الصحيح

17 أخرجه الترمذي والنسائي، قال الألباني: صحيح.

أنْ تزولا (إلى آخِرِ الآيةِ) الحمدُ للهِ الَّذي يُمسِكُ السَّماءَ أنْ تقَعَ على الأرضِ إلَّا بإذنِه فإنْ وقَع مِن سريرِه فمات دخَل الجنَّةَ](18)

فلا تعتقد أنك ستكون وحدك عندما تأوي إلى فراشك، فإذا بملك وشيطان يقفان عند رأسك، فعندما تقرأ المعوذات، وسورة تبارك، وتستعيذ من الشيطان، وتترك عنك هاتفك، وتقرأ وردك، ثم تسبح الله ثلاثًا وثلاثين، وتحمده ثلاثًا وثلاثين، وتكبره أربعًا وثلاثين، وتغمض عينيك، وغالبا ما سيغلبك النُّعاس قبل أن تكمل ذلك، يختم لك الملك بخير، أو أن يكون صوت الشيطان أقوى، فتتقلب من مكان إلى آخر على هاتفك لعدة ساعات حتى تنام، أو تغمض عينيك مرغمًا وأنت تشاهد مسلسلًا على حاسوبك الشخصي، وهنا يختم لك بشر، لأنَّك نمت على ذنب،

وأغلب الناس في حياتنا المادية هذه، يهربون من مواجهة أنفسهم، ويتهربون من لحظات الفراغ والتفكير العميق، يمررون حياتهم سريعًا سريعًا هربًا من الحقيقة، وعندما يختم الملك بخير يطرد الشيطان، ويبيت يكلؤه، فما يكون بجانبك، فتنام نومة هادئة، أمَّا الآخر فنومه مضطرب، فيه من الكوابيس والأحلام، ويستيقظ في اليوم التالي متعبًا لا مرتاحًا وهذه بغية الشيطان، فهو يريد خلق إنسان خائف غير متزن يسكنه الهلع والاكتئاب، وعندما يستيقظ الإنسان يعود الشيطان مرة أخرى فيقول: افتح بشرٌ، ويقول الملك: افتح بخير، فإذا ما بدأ يومه بنفس مطمئنة وذكر وصلاة لله، فيطرد الشيطان ويكلؤه الملك طوال يومه.

أعمال الملائكة:

الوظيفة الأولى للملائكة حفظ بني آدم، وحفظ أعمالهم، يقول الله عز وجل: {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ١٠ ۝ كِرَاماً كَاتِبِينَ ١١ ۝ يَعلَمُونَ مَا تَفعَلُونَ ١٢ ۝} (الانفطار) والملائكة تكتب كلَّ شيء يقوم به الإنسان، حتى لحظة الشُّرود فيكتبون لحظة بلحظة،

يقول ابن عباس عن هذا: "**ويكتب كل ما تكلم به من خير وشر، حتى إنه يكتب له قوله أكلت شربت ذهبت**" ويقول الله عزَّ وجل عن الكفار حينما يرون هذا الكتاب: {وَيَقُولُونَ يَٰوَيلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحصَىٰهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرا وَلَا يَظلِمُ رَبُّكَ أَحَدا}(الكهف، 12) فكل همزة ولمزة لم يحسب لها حسابًا تكتب،

فلا يتخيل الإنسان مدى دقة هذا الكتاب، يقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: [إنَّ الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظنُّ أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله عز وجل بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإنَّ الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظنُّ أنها تبلغ ما بلغت، يكتب الله عز وجل عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه](19). فالكلمة التي لم يلقِ لها بالًا إمَّا ترفعه إلى رضوان الله، أو تنزل به إلى سخط الله عزَّ وجل،

وللإمام أحمد -رحمه الله- قصة عجيبة في تقوية نفسه، فحينما مرض مرض الوفاة، وكان مرضًا مؤلمًا وهذا ما يعرف عن المرض الأخير الذي يؤدي للوفاة، فكلما اشتد به المرض كان يئن، فبلغ ذلك أصحابه، فقال طاووس أحد

18 أخرجه ابن حبان في صحيحه.

19 أخرجه البخاري في صحيحه

العلماء من أصحابه: " إنَّ الملائكة تكتب كل شيء حتى الأنين"، فعندما عرف الإمام أحمد ذلك، ما أنَّ حتى مات، لأنه لم يرض أن يكتب له شيء لا يدخل فيه عمل الخير،

ومن رحمة الله عز وجل، أن جعل لكل منا ملكين في الخلف، وملكين في الأمام، وهناك من قال: إنَّها ست، فتكون اثنان عن يمينه، واثنان عن شماله، واثنان من خلفه، وهناك ملكان أحدهما عن يمينه، يكتب الحسنات، والآخر عن شماله يكتب السيئات، وهذا طوال حياته، من اللحظة التي يقوم بها وحتى الموت،

فكل ما هممت بعمل خير من كلمة طيبة، أو بر بوالدة، فهذا مكتوب، وأمَّا صاحب الشمال، فيقول النبي -صلى الله عليه وسلم- عنه: [إنَّ صاحب الشمال ليرفع القلم ست ساعات عن العبد المسلم المخطئ، فإن دنا واستغفر الله منها ألقاها، وإلا كتبت واحدة] ويقول عليه الصلاة والسلام أيضا: [قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِذَا هَمَّ عَبْدِي بِسَيِّئَةٍ فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا سَيِّئَةً.. .][20] ورواه مسلم أيضاً بلفظ: [قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: رَبِّ، ذَاكَ عَبْدُكَ يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، وَهُوَ أَبْصَرُ بِهِ، فَقَالَ: ارْقُبُوهُ فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّايَ]،

وهذا من رحمته عزَّ وجل أن جعل بعد الذنب فترة يراجع المخطئ فيها نفسه، ولا يظنُّ الإنسان أنَّه يستطيع الإتيان بذنبٍ ثم يتوب عنه، فنحن لا ضمانة لنا على أعمارنا، ولا على وأوقاتنا،

إحدى الاخوات تحدثني فتقول: إنَّها كانت باجتماع مع زميلات لها، وكانت في لحظة غضب على شخص ما، وأخرجت كل ما لديها عنه، واغتابته في تلك الجلسة، وكانت على نية أن تستغفر له، ثم تقول كفارة المجلس قبل أن تنتهي الجلسة، ولكن من اتصال إلى الذهاب، وربكة الخروج، ما تذكرت الأمر إلا في اليوم الثاني، حينها عضت أصابع الندم، فالإنسان لا يعلم ما سيحصل، فلا تأتي بالذنب وتقول سأتوب، فالله لو أراد لتبت، ولو أراد لما تذكرت، ولما استغفرت حتى استغفارًا واحدًا وهذا من البلاء،

ومن رحمة الله عزَّ وجل أنَّ الملائكة لا تكتب الشر الذي يدور في قلب الإنسان وخاطره، بل تكتب الخير والحسن فقط، قال الرسول -صلى الله عليه وسلم-، قال اللهُ عزَّ وجلَّ -وقولُهُ الحقُّ-: [إذا هَمَّ عبدي بحَسنةٍ فاكتُبوها له حسنةً، فإنْ عمِلَها فاكتُبوها له بعَشْرِ أمثالِها، وإذا هَمَّ بسيِّئةٍ فلا تكتُبوها، فإنْ عمِلَها فاكتُبوها بمِثْلِها، فإنْ تَرَكَها - وربَّما قال: فإنْ لم يعمَلْ بها- فاكتُبوها له حسنةً، ثمَّ قرَأَ: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا} (الأنعام، 160)][21].

فالملائكة تعرف نيتك بالقيام بعمل الخير، فتكتب لك أنَّك هممت بحسنة، وإذا هممت بشر ثم تركته لوجه الله، فإنه يكتب لك بها حسنة، ويضاعف له عشرًا، وتكتب إرادة الخير الموجودة في القلب أيضًا وتدعو العباد إلى فعل الخير كل صباح، يقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: [مَا مِنْ يَوْمٍ يُصبِحُ العِبادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا][22].

20 أخرجه مسلم في صحيحه

21 أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما..

22 اخرجه البخاري في صحيحه.

وكما قلنا فالملائكة تكون مع العبد طوال حياته، منذ خلقته وحتى مماته، فتكون معه في الحفظ، وكتابة الأعمال، وعند الختام، في لحظة انتهاء حياته تبقى معه الملائكة أيضًا قال تعالى: {قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ}(السجدة، 11) ففي هذه اللحظة لا يكون الإنسان لوحده، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: [إِنَّ العبدَ المؤمن إذا كان في انْقِطَاعٍ من الدُّنْيَا، وإِقْبالٍ من الْآخِرَةِ، نزل إليه من السَّمَاءِ ملائكةٌ بِيضُ الوجُوهِ، كأَنَّ وجوهَهُمُ الشمسُ ، معهُمْ كفنٌ من أَكْفَانِ الجنَّةِ، وحَنُوطٌ من حَنُوطِ الجَنَّةِ ، حتى يَجْلِسُوا منه مَدَّ البَصَرِ ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ المَوْتِ حتى يَجلِسَ عندَ رأسِه فيَقولُ : أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي إلى مغْفِرةٍ من اللَّهِ ورِضْوَانٍ، فتخْرُجُ تَسِيلُ كما تسِيلُ القَطْرَةُ من فِي السِّقَاءِ ، فيَأْخذُها ، فإذا أَخَذَها ، لم يَدَعُوها في يَدِه طَرْفَةَ عَيْنٍ، حتى يَأْخُذُوها فيَجْعَلُوهَا في ذلكَ الكَفَنِ وفي ذلكَ الحَنُوطِ ، فيَخْرُجُ منها كأَطيَبِ نَفْخَةِ مِسْكٍ...][23]

إنَّما تكون الملائكة معه، وجاء الحديث واصفًا أشكال الملائكة، بيض الوجوه مثل الشمس من نورها، ويجلسون مدَّ البصر معهم أكفان وحنطوط من الجنة، وهنا تكون البشارة، فأهل الميت في بكاء، وآلام الموت تستشري به، وهو يرى هذه الوجوه التي تثير فيه كل أنواع البشائر، فيعرف أنه في خير، فيأتي ملك الموت ويقول له: **يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية غير غضبانة**، وهذه الطمأنة في حالة الخوف والهلع، أحب للميت، فتفيض روحه بكل انسيابية بسبب تلك البشرى التي زفتها الملائكة إليه، ثم تخرج روحه، وتجعله الملائكة في أكفان الجنة، يزفونه من سماء إلى سماء أخرى، في عرس ملائكي مهيب، وفي هذه اللحظة يقول الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا ما تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ *نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ}(فصلت، 30-31-32)

ولذلك لا يوجد أسعد للإنسان من لحظة موته، إذا استعد لذلك اليوم، وذكر الموت مرعب للنفس البشرية، وما في القبر من ظلمة وحساب، فكيف ينقلب هذا الحال لشيء محبوب للمؤمن، ولهذا قال الرسول -صلى الله عليه وسلم-: [مَن أحَبَّ لِقاءَ اللَّهِ أحَبَّ اللَّهُ لِقاءَهُ، ومَن كَرِهَ لِقاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقاءَهُ. قالَتْ عائِشَةُ أوْ بَعْضُ أزْواجِهِ: إنَّا لَنَكْرَهُ المَوْتَ، قالَ: ليسَ ذاكِ، ولَكِنَّ المُؤْمِنَ إذا حَضَرَهُ المَوْتُ بُشِّرَ برِضْوانِ اللَّهِ وكَرامَتِهِ، فليسَ شَيءٌ أحَبَّ إلَيْهِ ممَّا أمامَهُ؛ فأحَبَّ لِقاءَ اللَّهِ، وأَحَبَّ اللَّهُ لِقاءَهُ، وإنَّ الكافِرَ إذا حُضِرَ بُشِّرَ بعَذابِ اللَّهِ وعُقُوبَتِهِ، فليسَ شَيءٌ أكْرَهَ إلَيْهِ ممَّا أمامَهُ؛ كَرِهَ لِقاءَ اللَّهِ، وكَرِهَ اللَّهُ لِقاءَهُ.][24]

فعندما يبشر برضا ربه، فإنه يتلهف للقائه، فيحب الله لقاءه، وعندما ينتهي المرء من طمأنة الملائكة له، يكون ما يكون من سؤال منكر ونكير له، ومن ثم يفرشوه من الجنة إن كان من عباد الله الصالحين، ويبقى في قبره ما شاء الله له أن يبقى، ثم ينفخ في الصور النفخة الأخيرة، وهي النفخة الثالثة بعد نفخة الفزع، ثم الصعق التي يموت فيها كل من بقي في يوم القيامة، والنفخة الأخيرة التي يُبعَث بها كل من على الأرض من عهد آدم، فينبت الناس كما ينبت البقل، ولن يكون هناك أفسح من تلك اللحظة، حينما تفتح عينيك فتجد نفسك بيوم القيامة، يخرج الناس

23 أخرجه أبو داود في صحيحه، صحيح.

24 أخرجه البخاري في الصحيح

عراة ليس عليهم شيء من هول الأمر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [تُحْشَرُونَ حُفاةً عُراةً غُرْلًا قالَتْ عائِشَةُ: فَقُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، الرِّجالُ والنِّساءُ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ؟ فقالَ: الأمْرُ أشَدُّ مِن أنْ يُهِمَّهُمْ ذاكِ](25)، يوم تبدل الأرض غير الأرض، والسماء غير السماء، فتخيل في هذا الفزع، وبعد البعث، تتلقاك الملائكة هذا يومكم الذي توعدون، لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون،

وهنا طمأنة من الله لعباده الذين آمنوا في الحديث القدسي، فيقول جلَّ وعلا: [وعزتي وجلالي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أمنين، إن هو أمنني في الدنيا خوفته في الاخرة، وإن هو خافني في الدنيا أمنته في الاخرة] (26) فإذا عاش العبد في الدنيا بمشاعر الخوف والرجاء من الله، وعبادته بذلك، فنخاف من الله؛ لأنه شديد العقاب، قال تعالى: {نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ* وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ}(الحجر، **49-50**) ونرجو رحمته ومغفرته، قال الله عز وجل: {وإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ}(الرعد، 6)

فمن غلب عليه خوفه من الله، كان في أمان يوم القيامة، وهذه اللحظة في منتهى القرب منا، فنحن لا ننتظر قيام الساعة، فما يحول بيننا وبين القيامة الموت، وليس لنا علم بوقت هذا، وهذا الذي يجعل الإنسان على استعداد لهذه اللحظة المجهولة، التي قد تكون غدًا، لحظة الموت ليست لحظة رعب نتحاشى ذكرها، بل هي ضبط لبوصلتك، فتذكرها يصحح ما أخطأت فيه من قرارات، متأملا الحصول على ما يوجد في الآخرة، بعدها يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار.

وكلُّ إنسانٍ يجب أن يتطهر من ذنوبه، حتى وإن كان من أهل لا إله إلا الله، فلن يدخل الجنة بدون تطهير، وهناك طبقة في النار اسمها طبقة الموحدين، هذه الطبقة لمن قال لا إله إلا الله، لكنهم أسرفوا على أنفسهم بالذنوب والخطايا، ولم يحدثوا لها توبة، وهنا تكون الشفاعة، فيبدأ الأنبياء، فيشفع النبي -صلى الله عليه وسلم- وبعده الأنبياء، ثم يشفع عباد الله الصالحين فيقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: [فَوالذي نَفْسِي بيَدِهِ، ما مِنكُم مِن أحَدٍ بأَشَدَّ مُناشَدَةً لِلَّهِ في اسْتِقْصاءِ الحَقِّ مِنَ المُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَومَ القِيامَةِ لِإِخْوانِهِمُ الَّذِينَ في النَّارِ، يقولونَ: رَبَّنا كانُوا يَصُومُونَ معنا ويُصَلُّونَ ويَحُجُّونَ، فيُقالُ لهمْ: أخْرِجُوا مَن عَرَفْتُمْ، فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ علَى النَّارِ...](27)

فكلُّ إنسانٍ صالح يشفع لمن يعرف، حتى وإن لم يعرف اسمه ويعرف شكله في الدنيا لأمر خير جمعهم، فيشفع له عند الله، ويقول الكفار ذلك اليوم: **مالنا من شافعين ولا صديق حميم**، لمَّا يرون منافع صداقات أهل الخير، وعندما تنتهي الشفاعات ويبقى بعض الموحدين، فمنهم من يكون بينه وبين الله شيء من خير، هذا الخير كانت تعرفه الملائكة، فيأذن الله للملائكة أن تشفع، فتشفع في عباد الله،

فالعلاقة بيننا وبين الملائكة مستمرة حتى يوم القيامة، فاحرص على كلِّ عملِ خير مهما كان صغيرًا؛ لتكتبه الملائكة، ويونس -عليه السلام- لمَّا كان في بطن الحوت جعله الله في ظلمات ثلاث، في بطن الحوت، وبطن البحر، وبطن الليل، لا يعرف عنه أحد، أخفاه عن كل الكون، حتى الملائكة، فكان يونس -عليه السلام- يسبح ويقول:

25 أخرجه البخاري في صحيحه

26 أخرجه ابن حبان في صحيحه، وابن المبارك في الزهد، وحسنه الألباني.

27 أخرجه مسلم في صحيحه ، بحديث طويل.

"**لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين**" سمعته الملائكة وقالت: يا رب صوت معروف من عبد معروف، ولكن لا نرى أين هو يا رب، وهذا يعني أنَّ الملائكة في علاقة مع عباد الله، والملائكة تحب عباد الله الصالحين، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: [إنَّ الله تبارك وتعالى، إذا أحب عبدًا نادى جبريل، إنَّ الله قد أحب فلانًا فأحبه فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل في السماء إنَّ الله قد أحب فلانا فأحبوه](28) وهذا الحب والقبول في الأرض صُنِعَ في الآخرة، وليس في الدنيا، فالله يرضى ويحب، فيحبه جبريل، ثم يحبه الملأ الأعلى، ثم ينزل ذاك الحب في أهل الأرض، وهذا الشيء ليس من المفروض أن يكون لإنسان معروف، بل يمكن أن يكون لعبد بين أربعة جدران بار بأمه المسنة، ويمكن أن يكون لموظف عادي بسيط، فنحن لا نعرف لم قد يحب الله عزَّ وجل، ولكن من صدق الله عز وجل في العمل الصالح يصدقه.

ومن أعمال الملائكة تسليطها على العبد، ومعنى التسليط أي أنَّها تدعو له بالرحمة، وتستغفر له، وهناك أعمال توجب هذا، فقال الله عز وجل: {هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا}(الأحزاب، 43) والصلاة من الله هي الثناء، وصلاة الملائكة الدعاء "اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، اللهم اهده" فيخرج قلبك من الظلمات إلى النور، والظلمات ليس سوادًا إنَّما الثقل والوجع والقسوة، كلها من الظلمة والوحشة، وهذا من رحمته عز وجل، ومن هذه الأعمال تعليم الناس الخير، يقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: [فضلُ العالمِ على العابدِ ، كفَضْلِي علَى أدناكم ، إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ وملائِكتَهُ ، و أهلَ السمواتِ والأرضِ ، حتى النملةَ في جُحْرِها ، وحتى الحوتَ ، ليُصَلُّونَ على معلِّمِ الناسِ الخيرَ] (29).

ولا يشترط أن يكون معلمًا في صف أو في درس، فبلغوا عني ولو آية، فلو سمعت كلمة وبلغتها، فأنت ممن علم الناس خيرًا، ويمكن لما تعرفه أن يقع في قلب أحدهم ما لم يقع في قلبك، ولكنَّ أجره لك، والملائكة تصلي على من أتى المسجد للصلاة، وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: [إنَّ اللَّهَ وملائِكتَهُ يصلُّونَ على الصَّفِّ الأوَّلِ](30) والملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه، فعندما تنتهي من صلاتك، وتجلس للتسبيح والتهليل، فالملائكة تدعو لك "اللهم اغفر له وارحمه" طيلة فترة جلوسك،

والملائكة تصلي على من يصلون في صفوف ويسدون الفرجة أيضًا، وهذا في الصلاة، فالتقدم لسد الفراغ بين المصلين وترتيب الصف يرفع الله بها درجة في الجنة، ويصلي عليه الملائكة، والملائكة تصلي على المتسحرين أيضًا، ومن صلى على الرسول أيضًا، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: [ما من عبدٍ يصلي علي، إلا صلت عليه الملائكة، ما دام يصلي عليه، فليقل للعبد من ذلك أو يكثر](31)، وممن تصلي عليهم الملائكة أيضًا من زار مريضًا قال

28 أخرجه مسلم في صحيحه.

29 أخرجه الترمذي، وقال الألباني صحيح.

30 اخرجه ابن ماجه، قال الألباني : صحيح.

31 خرجه ابن ماجه في السنن، قال الألباني: حسن

النبي -صلى الله عليه وسلم-: [ما من امرئ مسلم يعود مسلمًا إلا ابتعث الله له سبعين ألف ملك يدعون له يصلون عليه في أي ساعات النهار كان حتى يمسي، وإذا كان بالمساء فيصلون عليه بالمساء حتى يصبح][32]

والملائكة تستغفر للمؤمنين أيضًا يقول الله عزَّ وجل: {تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} (الشورى، 5) وتشهد الملائكة لأهل الذكر يقول النبي -صلى الله عليه وسلم- [إنَّ لله تبارك وتعالى ملائكة يطوفون في الطرق يعني يمشون كذا في الشوارع يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تعالى تنادوا][33]، فالملائكة تحف مجالس الذكر بأجنحتها، ويشكلون دوائر فوق بعض إلى أن تكون في السماء الدنيا، فإذا انفض المجلس وانتهى رفعوا أسماء الحاضرين لله عز وجل، وقال الرسول -صلى الله عليه وسلم-: [هم القوم لا يشقى بهم جليسهم][34].

واجبنا تجاه الملائكة:

الابتعاد عما يؤذي الملائكة، فما يؤذيها شيء مثل الذنب والمعصية، فهي لا تدخل بيتا يُعْصَى الله فيه، لأنَّ الشياطين موجودة فيه،

والملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب ولا صورة ولا تمثال، حتى لو كانت التماثيل صغيرة كسلحفاة أو بطة، أي تمثال فيه صورة، أو صورة فلان عميد العائلة، أو لأب متوفى فهذه الصور تطرد الملائكة، عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: [وَاعَدَ رَسولَ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ- جِبْرِيلُ -عليه السَّلَامُ- في سَاعَةٍ يَأْتِيهِ فِيهَا، فَجَاءَتْ تِلكَ السَّاعَةُ وَلَمْ يَأْتِهِ، وفي يَدِهِ عَصًا، فألْقَاهَا مِن يَدِهِ، وَقالَ: ما يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَا رُسُلُهُ، ثُمَّ التَفَتَ، فَإِذَا جِرْوُ كَلْبٍ تَحْتَ سَرِيرِهِ، فَقالَ: يا عَائِشَةُ، مَتَى دَخَلَ هذا الكَلْبُ هَاهُنَا؟ فَقالَتْ: وَاللَّهِ، ما دَرَيْتُ، فأمَرَ به فَأُخْرِجَ، فَجَاءَ جِبْرِيلُ، فَقالَ رَسولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ-: وَاعَدْتَنِي فَجَلَسْتُ لكَ فَلَمْ تَأْتِ، فَقالَ: مَنَعَنِي الكَلْبُ الَّذي كانَ في بَيْتِكَ؛ إنَّا لا نَدْخُلُ بَيْتًا فيه كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ][35]،

والملائكة لا تقترب من أصناف من الناس، منهم السكران، والجنب، فالإنسان يجب أن يسرع للتطهر والاغتسال، والملائكة بشكل عام تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم، ولذلك [نَهَى رَسولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ- عن أكْلِ البَصَلِ والْكُرَّاثِ، فَغَلَبَتْنا الحاجَةُ، فأكَلْنا مِنْها، فقالَ: مَن أكَلَ مِن هذِه الشَّجَرَةِ المُنْتِنَةِ، فلا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنا، فإنَّ المَلائِكَةَ تتَأَذَّى ممَّا يَتَأَذَّى منه الإنْسُ][36]

---

32 أخرجه أبو داود والترمذي، وابن ماجه، في السنن قال الألباني : صحيح.

33 أخرجه البخاري في الصحيح.

34 أخرجه مسلم في الصحيح.

35 أخرجه مسلم في صحيحه.

36أخرجه مسلم في صحيحه.

و يقول النبي -صلى الله عليه وسلم- [فإذا أستاك يعني لو تسوكت قبل قيام الليل فإذا تسوك الإنسان جاءه ملكٌ فوضع فاه على فيه فما يخرج من جوفك شيء من القرآن إلا دخل مباشرة في جوف الملك فيحتسب لهذا الإنسان أما إذا لم يستك لم يأتيه الملك][37]

فهذا يحث المرء على أن يكون ذو رائحة طيبة، وتخيل هذه السنة البسيطة كم ستعادل من الأجور، وهذا شيء يسير من هذا العالم النوراني، ومن أراد أن يستزيد فعليه بكتاب "عالم الملائكة" لعمر الأشقر،

وأسأل الله أن يجعلني وإياكم ممن يتعلم الشيء فينتفع، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، هذا والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، نبينا محمد وعلى آلة وصحبه أجمعين.

تنويه: مادة المحاضرة جمعت من مصادر عدة وجميع المحاضرات في المدونة ليست كتابة حرفية لما ورد في المحاضرة؛ إنما تمت إعادة صياغتها لتُناسب القرّاء وبما لا يُخلُّ بروح المحاضرة ومعانيها

37 أخرجه البيهقي في السنن الكبرى وشعب الإيمان، وقال الألباني : صحيح